بر النجاة

د/ عبد الحميد هنداوي

المدرس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة

ت/٧٢٣٩٨٥٧

توزيع مؤسسة قرطبة ٥٨١٥٠٢٧

رقم الإيداع: ٨١٤٢/ ٢٠٠٣

مسك
دعاية طباعة

ت: ٤٤٥٥١٧٢ - ٠١٢/٣٧٤٣٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

أخي المسلم! وأختي المسلمة! يقول الله تعالى:

﴿حم(١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

ويقول أيضاً: ﴿يَاأَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٨) وَلا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ(٢٠)﴾[١].

أخي أراني وقد أغرقتنا الدنيا في بحار شهواتها الدنيئة وزخارفها الزائفة، فنحن نعمل جاهدين ليل نهار ونعلم كثيرا من أمور دنيانا وشهواتنا، ونجهل كثيرا من أمر ديننا، وحق فينا قول الله تعالى ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)﴾[٢]. ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ(٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ(٢١) لَقَدْ

(١) الحشر:١٩-٢٠.

(٢) فاطر:٧.

كُنْـتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ(٢٢)﴾[1].

ولما رأيت أن هذا هو حال أكثر الخلق كتبت هذه الرسالة أعتذر بها إلى الله تعالى وأشهده بأني قد بلّغت، وأنصح بها إلى الـناس بمـا علمت، وأطلب ممن فهمها وعمل بها أن يمد يد العون؛ لكي ينقذ به الله غريقا أو ينجي به صريعا وهو بذلك لا يـنقذ إلا نفسه، فإنه إن لم يفعل سوف يجرفه الموج حتى يغرقه، وسوف تلفحه النار حتى تحرقه.

فالبدار البدار قبل فوات الأوان !

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

عبدالحميد أحمد يوسف هنداوي

الجيزة في رجب ١٤٢٣هـ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

---

(١) الآيات من سورة ق من آية ١٩/٢٢.

لقد كنت في غفلة من هذا . . .

هـــذا العـــالم الذي نعيشه هو حقا عالم الغفلة كما هي تســـمية الله له، ولا أظن أنه قد مرت بالناس غفلة بعد مبعث الـــنبي ﷺ كهذه الغفلة التي يعيشها الناس في هذا الزمان، ولا أجـــد ناســـا أشـــبه غفلة بأهل هذا الزمان كأهل الجاهلية الأولى.[1]

(١) بل إن أهل هذا الزمان قد عتوا وطغوا وأفسدوا أكثر من أهل الجاهلية الأولى، فـــالله تعالى قد نهى عن التشبه بأهل الجاهلية الأولى فقال لنساء هـــذه الأمـــة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب:٣٣] ومعلوم لدى الجميع أن تبرج النساء اليوم قد فاق كل الجاهليات منذ أن خلق الله الأرض إلى أن يرثها.

فالناس-إلا من رحم الله-أصبحوا يعيشون في غفلة عما خلقوا له، وعما هم صائرون إليه.

لقد غفلوا عن أنهم خلقوا لعبادة ربهم، لا لعبادة أهوائهم وأمزجـــتهم، والله تعالى يبين لهم ذلك فيقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِـــنَّ وَالْـــإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)﴾[1] لقد غفلوا عن أنهم خلقـــوا للعمـــل للآخرة، لا من أجل العمل للدينا، وغفلوا كذلـــك عن أنهم سرعان ما يتركون منازلهم في هذه الدنيا، وينـــتقلون مـــنها إلى مـــنازل أخرى في جنة الخلد أو في نار الجحـــيم، والرسولﷺ يوضح هذه الحقيقة ويصورها أحسن

(١) الذاريات:٥٦.

صـــورة فيقول"**ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**"[1].

لقد غفل الناس عن كثير من الحقائق الثابتة في هذه الحياة، فنسوها في عالم الغفلة وفي ضجيج الحياة، ولكنهم مهما غفلوا عن هذه الحقائق فإنها ستظل -كذلك- حقائق ثابتة، رضوا بذلك أم أبوا، فإنهم مهما غفلوا عنها فلابد أن تفجأهم تلك الحقائق وتفجعهم يوما ما.

والدليل على غفلة الناس أنه ما من حقيقة في هذا الكون أوضح ولا أبين من حقيقة الموت، ورغم ذلك فما غفل الناس عن شيء كما غفلوا عن تلك الحقيقة!.

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣٩١/١) والترمذي (٢٤٩٦) وابن ماجه(٤١٠٩) وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٤٣٩).

وصدق قول القائل: "ما رأيت حقا أشبه بباطل من الموت"، فالموت حق لا شك فيه ولكن الناس أمامه كأنه باطل لا شك فيه.

ومهمـــا حاد الإنسان عن هذه الحقيقة، ومهما جزع من ذكرها، ونفر من تذكر هولها فإنها آتية لا ريب فيها، كما أن الليل يعقبه النهار.

وصـــدق الله تعـــالى إذ يقول: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

هـــذا، وقـــد جمـــع كثير من الناس بين غفلتهم عن هذه الحقيقة، وبين خطأهم في تصورها، فهم يتصورون الموت فناء وعدمـــا، بل إنهم يرون فيه الراحة والخلاص من شقاء الحياة وآلامهـــا، ولـــذا تـــراهم عند الشدائد يدعون على أنفسهم بالموت،أو يتمنونه، أو يبادرون فعلا بأنفسهم إليه. وهؤلاء قد

جمعـوا بين غفلتهم عن الموت كحقيقة وغفلتهم عن حقيقة المـوت وحقيقة تصوره، فالموت في حقيقته ليس فناء وعدما، ولـيس هـو راحة للجسد وخلاصا للروح من آلام الحياة، ولكنه في الحقيقة انتقال من دار إلى أخرى، أو هو يوم نرجع فيه إلى الله فنحاسب فيه على ما كسبنا، والله يلفتنا إلى ذلك فيقول:

﴿وَاتقُـوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1].

فهذه هي حقيقة الموت رجوع إلى الله، وانتقال من دار إلى دار، فالقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإذا كان الموت حقا، وسؤال القبر حقا، وعذابه ونعيمه حقا والرجوع إلى الله للحساب حقا، وأهوال القيامة حقا،

---

(١) البقرة: ٢٨١.

ووقوف الحساب، واقتراب الشمس من الرؤوس، وغرق الناس في عرقهم، وصراخهم، واستغاثتهم من حر الشمس وعذاب الموقف، وضيق المحشر، وهول المطلع، ووضع الميزان، ونصب الصراط على ظهر جهنم، والمرور عليه من فوق جهنم... إلخ كل هذا حقا؟ فما بالنا في غفلة عن هذا، وما علاج هذه الغفلة؟

إن علاج هذه الغفلة في القرآن -لا شك في ذلك- فالله تعالى يقول:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فمن لم ينفعه القرآن ويؤثر فيه وينال من قلبه فلا خير فيه، ولا رجـــاء في هدايته، فالله تعالى يقول **﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ**

---

(١) الحشر: ٢١.

يُؤْمِنُونَ﴾[1] ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[2].

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[3].

نعم يا أخي إننا في غفلة عن ذكر الله وعن الآخرة، في غفلة عن كتاب ربنا، ولقد صار أكثر الناس عن كتاب ربهم معرضون، أين نحن من قول الله تعالى في سورة (ق): ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ[4]

---

(١) المرسلات: ٥٠.

(٢) الجاثية: ٧-٨.

(٣) السجدة: ٢٢.

(٤) أي: تفر.

(١٩) وَنُفِـخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ[١](٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ[٢](٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ(٢٢)﴾.

نعم لقد كنت في غفلة من هذا، كنت في غفلة عن الموت ومـا وراءه من عذاب القبر وأهواله، وكنت في غفلة عن يوم القـيامة﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا(١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا(١٩)﴾[٣] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْـرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ(٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ

---

(١) أي: الوعيد بالعذاب.

(٢) سائق يسوقها للحساب وشهيد يشهد عليها.

(٣) النبأ: ١٨-١٩.

بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ(٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ(٧٠) وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ(٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ(٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ(٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ(٧٤) وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ

حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٧٥)﴾[1].

أين نحن من التفكر في هذه الآيات.

أين نحن من التفكر في عذاب القبر؟!

أين نحن من التفكر في عذاب القبر وإنه لحق، فإن الله تعالى يقول في كتابه:﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

ذكر ابن كثير في هذه الآية عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور تدخل عليهم في

---

(١) الزمر:٦٨-٧٥.

(٢) المؤمنون:٩٩-١٠٠.

قبورهم حيات سود أودهم حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ يعني أمامهم، وقال مجاهد : البرزخ الحاجز بين الدنيا والآخرة . وقال محمد بن كعب: البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم . وقال أبو صخر : البرزخ المقابر لا هم في الدنيا ولا هم في الآخرة فهم مقيمون إلى يوم يبعثون وفي قوله تعالى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ ﴾ تهديد لهؤلاء المُحتضرين من الظَّلَمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ وقال تعالى ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وقوله تعالى﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

أي يستمر به العذاب إلى يوم البعث كما جاء في الحديث «فلا يزال معذبا فيها» أي في الأرض[1].

ويقول تعالى في عذاب قوم فرعون في قبورهم ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ(٤٦)**﴾[2] أي إن هذا العذاب هو عذابهم في قبورهم ويوم القيامة يقال للملائكة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب بعد عذابهم في قبورهم.

ورسول الله ﷺ قد ذكر عذاب القبر في أحاديث كثيرة منها ما جاء في الصحيحين (البخاري ومسلم) أن رسول الله ﷺ مر على قبرين لرجلين من أصحابه فقال لأصحابه«إن

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٥٦).

(٢) غافر:٤٦.

هذين ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما، فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنـــزه من البول»[1].

فسبحان الله فهذان رجلان من أصحاب النبي ﷺ يعذبان في قبريهما لأمر يسير، أحدهما كان ينقل حديث الناس، وما أكثر ما نفعله! والآخر كان لا يحسن الطهارة من البول ولا يعتني بذلك، فما بالك بمن لا يتطهر بالمرة من بوله أو من جنابته، وما بالك بمن لا يتوضأ أبدا، وما بالك بمن لا يصلي ولا يسجد لله سجدة واحدة ؟!

وأخـــبر كذلك ﷺ عن عذاب القبر: أنه يأتي للواحد فيه ملكـــان فيجلسانه فيسألانه من ربك، وما دينك، وما الرجل

(١)أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: الجريدة على القبر(١٣٦١) ومسلم في "الطهارة"، باب: نجاسة البول ووجوب استبراء منه(١/٥٨٨-ط الشعب).

الـــذي بعـــث فيك فأما المؤمن فيجيب فيفرش له في قبره من الجـــنة، ويفتح له بابا إلى الجنة فيرى مكانه في الجنة في الغداة (الصـــباح) والعشي، وأما الكافر والمنافق فيقول هاه هاه لا أدري فـــيقال له: (لا دريت ولا تليت)[1] ويضربانه بمطارق مـــن حديد، لو اجتمع أهل الأرض من الجن والإنس على أن يحركوا مطرقة منها ما قدروا على ذلك[2].

---

(١) أي: لا دريت الحق أي: لا عرفته بنفسك، ولا تليت أحدا، أي: ولا تبعث أحدا في الحق.

(٢) أخرجه البخاري في "الجنائز"، باب: ما جاء في عذاب القبر (١٣٧٤) ومسلم في "الجنة وصفة نعيمها"، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار (٢٨٧٠).

أهـوال القيامـة

فـــإذا كان هذا بعض ما جاء في عذاب القبر، فما أدراك بعـــذاب يوم القيامة وأهوالها وهذا أمر يطول، ويكفي هنا أن نتذكر أن يوم القيامة تقترب فيها الشمس من الرءوس حتى لا يكـــون بيننا وبينها إلا ميلا واحدا، ويغرق الناس في عرقهم فمنهم من يأخذه عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه عرقه إلى رقبته، ومنهم من يغرقه العرق إغراقًا[1] وحينئذ يصرخ الناس ويستغيثون ويدعون على أنفسهم بالويل والهلاك، ويدعون الله ويستغيثون إليه إن يصرفهم من هذا الموقف ولو إلى النار!

---

(١) أخـــرجه مسلم في "الجنة وصفة نعيمها"، باب: صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهوالها (٥/٧١٥) ط الشعب.

سبحان الله، إنهم لشدة عذاب الموقف يريدون أن ينصرفوا منه إلى النار، فإنهم يظنون أن النار لن تكون أشد عذابا من هذا الموقف الذي أكلت فيه الشمس رءوسهم، وأحرقت فيه أجسادهم، ولكنهم يجهلون أمر النار، إن النار أمرها أعظم وأطم، فإن الله قد أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، وأوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة[1]!

والصراط منصوب فوق ظهر جهنم هو أدق من الشعر وأحد من السيف، ونهايته عند الجنة فيمر عليه العباد في هذا الظلام، فأما المؤمنون فيجعل الله لهم نورا يهديهم إلى الجنة

(١) أخرجه الترمذي (٢٧١٧) وابن ماجه (٤٣٢٠) من طريق يحيى بن أبي بكير عن شريك بن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة سنذكره والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "الضعيفة"(١٣٠٥).

﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[1] وأما المنافقون الذين كانوا لا يلتزمون بدينهم ولا يعملون بإسلامهم فينطفئ نورهم كما انطفأ نور إيمانهم في الدنيا، فحينئذ يقعون في الجحيم، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[2].

وهذا يوم -يا أخي أعاذنا الله منه وإياك- طوله خمسين ألف سنة كما أخبر ربنا في كتابه حيث قال ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[3] فهل تساوى الدنيا بسائر نعيمها ولذاتها شيئا في عذاب هذا الموقف، الناس جميعا يعذبون في هذا الموقف كل على قدر عمله حتى الأنبياء

---

(١) محمد: ٦.

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) المعارج: ٤.

والصـــالحون فـــإنهم وإن نجـــوا من العذاب إلا أنهم يخافون الحســـاب في هذا اليوم، ففي الصحيحين أن المؤمنين وسائر الـــناس في هذا الموقف العظيم يطول بهم الوقوف ويشتد بهم العـــذاب فـــيقول بعضهم لبعض انظروا من يشفع لكم عند ربكـــم حتى يريحكم من عذاب هذا الموقف كما أخبر بذلك الـــنبي ﷺ فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: " أُتِيَ رسول الله ﷺ بلحمٍ، فرُفِعَ إليه الذِّراع وكانت تُعجبه- فنهس منها نهســـة ثم قـــال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلـــك؟ يُجمع الناس الأولين والآخرين- في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، ويَنفذهُمُ البصر، وتدنو الشمسُ فيبلغ الناس مـــن الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون: فيقول الناس: إلا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فـــيقول بعـــض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه

السلام- فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فـيك من روُحِه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربـك، ألا تـرى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فـيقول آدم: إن ربي قـد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسـي نفسـي نفسي إذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا فيقولون. يا نوح، إنك أنت أوَّل الرُّسل إلى أهل الأرض. وقـد سماك الله عبدًا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عزَّ وجل قد غضب اليوم غضـبًا لم يغضـب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. وإنه قد كانـت لي دعـوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، إذهـبوا إلى غـيري، اذهـبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم، فـيقولون: يا إبراهيم، أنت نبيُّ الله وخليله من أهل الأرض،

اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنتُ كذبتُ ثلاث كذبات فذكرهنَّ أبو حيان في الحديث- نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيًا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضـــب بعـــده مثله ولم يذكر ذنبًا- نفسي نفسي نفسي، اذهـــبوا إلى غـــيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ. فيأتون محمدًا ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلِقُ، فآتي تحت العرض فأقَعُ ساجدًا لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحُسنِ الثناء عليه شـــيئًا لم يفـــتحه عـــلى أحد قبلي. ثم يُقال: يا محمد، أرفع رأسك، سل تُعطه، واشفع تُشفع. فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمـــتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخِل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الـــناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي

بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِميرَ، أو كما بين مكة وبُصرى"[1].

ثم يمر المؤمنون والمنافقون بعد ذلك على الصراط لكي يدخل المؤمنون الجنة، وبعد أن يدخل المؤمنون الجنة يقولون يا رب إخواننا كانوا معنا في الدنيا، يصلون معنا، ويصومون معنا، أدخلتهم النار، فيقول الله تعالى لهم أخرجوا من قد عرفتم، فيخرجونهم من النار بعد أن يصيروا فحمًا أسود، لا يعرفون، فتأكل النار أجسادهم جميعًا إلا مواضع السجود، فيخرجونهم من النار تعرفهم الملائكة بآثار السجود، وبعد أن يشفع الصالحون يشفع النبي ﷺ حتى يخرج من النار من أتى

---

(١) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (٤٧١٢)، ومسلم في "الإيمان"، باب: الشفاعة (١/٤٦٩) ط الشعب.

بالتوحـــيد بلا إله إلا الله، ومعه من الإيمان "أي العمل بشرائع الإيمان"[1] ولو مثقال حبة من خردل، ولو مثال ذرة".

عذاب تارك الصلاة

فانظـــر رحمك الله، كيف أن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا مواضع السجود، فمن كان لا يصلي أكلته النار كله فـــلا تبقى منه شيئا، وحينئذ لا تعرفه الملائكة ولا تخرجه من النار، لأنه كما جاء في الحديث الصحيح " فتخرجهم الملائكة

(١) لأن الرسول ﷺ قال الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناهـــا إماطـــة الأذى عن الطريق، فالإيمان يشمل جميع أعمال الطاعة لله تعالى وحده.

من النار يعرفونهم بآثار السجود، تأكل النار من ابن آدم كل شيء إلا مواضع السجود"[1].

واقرأ إن شئت قول الله تعالى في سورة المدثر حيث يقول عن يوم القيامة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ[2] إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[3]؟!

فتارك الصلاة يدخله الله نار سقر، وما أدراك ما سقر ؟ إنها لا تبقى ولا تذر، أي تأكل أجساد من فيها، ولا تترك منهم شيئا، لأن كل من فيها لا يصلون، فتأكلهم النار جميعا

---

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: الأعضاء التي حرمها الله على النار (١/٤٢١) ط الشعب.

(٢) أي: حبيسة بأعمالها.

(٣) المدثر:٣٨.

لأن النار تأكل من ابن آدم كل شيء إلا مواضع السجود، واقرأ إن شئت قوله تعالى :﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ(٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ(٢٩)**[1] **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[2] أي ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهم زبانية العذاب الذين يعذبون أهل النار، فوق عذاب النار لهم. قال تعالى : ﴿**يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[3] فأمرهم الله أن يقوا أنفسهم من هذه النار بأن يعظوا أهليهم ويأمروهم بطاعة الله تعالى،

---

(١) أي: تنزع بشرة الإنسان.

(٢) المدثر:٢٧-٣٠.

(٣) التحريم:٦.

وبالصلاة والالتزام بأمره ونهيه، حتى ينجوا من عذاب النار التي تشتعل وتتقد بالناس والحجارة ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

وانظر يا أخي (رحمك الله) إلى طول هذا اليوم العصيب، ذلك اليوم الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[1] وقال أيضا عنه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[2].

فماذا فعلنا لنتقي هذا اليوم الذي يشيب له الولدان، وتتفطر له السموات، وتنشق الأرض، وتحيط جهنم بأقطار السموات والأرض، ويقال للناس: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

(١) البقرة: ٢٤.

(٢) الزمل: ١٧.

﴿فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾[1] فهل ينفع حينئذ سلطان الناس في الحياة الدنيا؟.

وهل تنفعهم أموالهم وأولادهم؟ ﴿كَلا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا(٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى(٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي(٢٤)﴾[2] عجبا للإنسان أو لا يتذكر إلا إذا جاءه ربه والملائكة أمام عينيه صفا صفا، وإلا إذا رأى جهنم وهي تحيط بأقطار الأرض، وحينئذ أيضا يحاول الهرب والفرار؟!

(١) الرحمن:٣٣.

(٢) الفجر:٢١-٢٤.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[1]. ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ؟ كَلَا لَا وَزَرَ[2] إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ، يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[3].

ماذا سنصنع حينما نرى هذه الأهوال ؟ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4].

---

(١) غافر:٣٣.

(٢) أي: لا ملجأ ولا مفر إلا إلى الله.

(٣) القيامة:١٠-١٣.

(٤) الزلزلة:١-٨.

إن الحساب شديد، والميزان يزن بالذرة، والناس يومئذ يتعاملون فيما بينهم ويتقاصون المظالم التي كانت بينهم في الدنيا بالحسنة والسيئة، فليس هناك دينار ولا درهم، وإنما هي الحسنة والسيئة فيأخذ المظلوم من حسنات الظالم بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات وضع من سيئات المظلوم على سيئات الظالم، ثم يطرح الظالم في النار[1].

إنـــه يوم الدين أي يوم الحساب ويوم الجزاء يوم إحقاق الحـــق، يـــوم أن يقال للظالم ارجع، وللمظلوم تقدم، فيتقدم المظلـــوم فيقضي من الظالم ويثأر منه، ويأخذ من حسناته ما شاء بقدر ما ظلمه.

---

(١) أخـــرجه مســـلم في "البر والصلة"، باب: تحريم الظلم (٥/٤٤١) ط الشعب.

سبحان الله، لا ينفع في هذا اليوم إلا العمل الصالح، حسنة تدخل الجنة وسيئة تدخل النار.

والـــناس في هـــذا اليوم درجات على قدر أعمالهم، كما كانوا درجات في الدنيا، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه العرق إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من يصل إلى وســـطه أو إلى رقبـــته أو يغـــرقه العرق، ومنهم من هو مســـتريح في ظل عرش الرحمن كما جاء في الحديث الصحيح ســـبعة يظـــلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" إمام عادل، وشـــاب نشـــأ في عـــبادة الله، ورجل معلق قلبه بالمساجد، ورجـــلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل بكى مـــن خشية الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال

فقال: إني أخاف الله"[1] إن هؤلاء قوم تابوا ورجعوا إلى الله، وتـــركوا الذنـــوب والخطايا واستغفروا الله تعالى فغفر لهم، وأقبلوا على العمل الصالح، ولم يتكلوا على إيمانهم، فهذا رجل يســـتغفر الله تعالى لذنوبه ويخشى أن يحاسبه الله تعالى عليها، ويخشـــى مـــن عذاب يوم القيامة، ومن وقوفه بين يدي الله، فيـــبكي مـــن خشية الله تعالى، ومن خشية عذابه، فيؤمنه الله تعالى يوم القيامة، ويريحه من العذاب، ويجعله في ظل عرشه.

فهـــلا تبـــنا إلى الله تعـــالى، وبكينا على ما فرط منا من الذنوب والمعاصي، وعلى ما ضيعنا من العمر في غير طاعة الله تعالى، وفي غير ما خلقنا الله تعالى له، فإن الله تعالى لم يخلقنا

---

(١) أخرجه البخاري في "الزكاة"، باب: الصدقة باليمين (١٤٢٣) ومسلم في "الزكاة"، باب: فضل إخفاء الصدقة(١٠٣١).

لـــنجمع الدنـــيا، أو نتلهى بها عن عبادته بل خلقنا لعبادته، وتكفـــل رزقنا فقال﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ(٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1].

معنى العبادة

والعـــبادة هي فعل ما أمر الله تعالى به، وفق أمره تعالى، وابـــتغاء وجهـــه سبحانه، وترك ما نهى الله تعالى عنه ابتغاء وجهه سبحانه وخشية عذابه.

فالعبادة ليست محصورة في الصلاة والزكاة والصيام والحج بل تشمل كل أمر أمر الله تعالى به في كتابه فقد أمر المؤمنين والمؤمنات أن يقرءوا كتاب ربهم ويقيموا الصلاة، وينفقوا مما

---

(١) الذاريات:٥٦.

رزقهم الله كما أمرهم بألا يأكلوا إلا حلالا طيبا، وأن يتركوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأن يغضوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم ويستروا عوراتهم : قال تعالى ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ[1] وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى

(١) أي: صدورهن.

عَـوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَـتِهِنَّ وَتُوبُـوا إِلَـى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١)﴾[1].

حقيقة الإيمـان

وهذه هي حقيقة الإيمان ليس قولا بلا عمل، بل هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وليس كما يقول أكثر الناس محتجين على ترك عبادة ربهم إن الإيمان في القلب، وقد كذبوا، فلو كان في قلوبهم لدفعهم إلى طاعة الله تعالى وخشيته، وإنما قلوبهم مغلة قد طبع الله عليها، وختم على قلوبهم وسمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة فهم لا يهتدون، والرسول ﷺ يبين سبب طبع الله تعالى على القلوب والأسماع

(١) النور: ٣١.

والأبصار فيقول " تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا، فأيُّ قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأيُّ قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، قلب أسود مرباد كالكوز مجخيا (أي كالكوز المنكس) لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب فيه من هواه، وقلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض"[1] فالفتن تعرض على القلوب فإذا اتبع القلب الفتنة وقع في المعصية ونكتت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود القلب جميعا بفعل المعاصي والمداومة عليها، فيطبع الله تعالى عليه، فيصير كالكوز المقلوب لا يدخله الماء، فلا يملأ بالخير، وإذا أنكر القلب الفتنة فلم يشربها، ولا يقع فيها ابيض القلب،

(١) أخـــرجه مسلم في "الإيمان"، باب: ذكر الفتن التي تموج كموج البحر (١/٣٥٣) ط الشعب.

ولا يزال يبيض قلبه بفعل الطاعة وترك المعاصي حتى يمتلئ قلبه بالنور وحتى يصير مثل الصفا أي: كصخر أملس حينما يسقط عليه المطر لا يزيده إلا بريقا ولمعانا".

فاحذر أخي المسلم أن تعتقد أنه ينفع تصديق بلا عمل، فإن هذا لا يكون إيمانا أبدا، فالإيمان قول وعمل، والرسولﷺ يقول: " الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[1] فبين أن الإيمان يشمل القول والعمل، حتى إن إماطة الأذى عن الطريق ابتغاء وجه الله تعالى تكون من الإيمان.

---

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: الحياء شعبة من الإيمان (٢٠٩/١) ط الشعب.

ولو كان ينفع في الإيمان قول وتصديق بلا عمل لنفع ذلك إبليس، فإن إبليس لم يكذب بشيء مما أخبر به الله، بل إن إبليس دعا ربه فقال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي [1]إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [2] فهو مؤمن بربه وحده، وهو مؤمن بيوم البعث ومع ذلك كله كان كافرا لأنه اعترض على أمر الله تعالى له، ولم يستجب ولم ينقد لأمر الله تعالى إذ أمره أن يسجد لآدم، فكفر بذلك فقال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[3] فكان من الكافرين لأنه استكبر عن طاعة الله تعالى، ولم يستجب له، ولأنه اعترض على أمر الله تعالى، والاعتراض على أمر الله

---

(١) أي: أخرني.

(٢) الأعراف: ١٤.

(٣) البقرة: ٣٤.

تعالى كفر، وذلك حيث قال لربه ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[1] فكل من اعترض على أمر واحد من أوامر الله تعالى فقد كفر.

فاعلم هذا جيدا، واعلم أن اليهود كانوا مصدقين أن محمدا ﷺ حق لأن عندهم صفته في التوراة، ولكنهم كفروا لأنهم لم يستجيبوا للنبي ﷺ ولم يدخلوا في شريعته، وكذلك النصارى.

معنى الإسلام

فإذا علمت هذا، علمت أنه لا يقبل تصديقك بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره إلا

(١) الإسراء: ٦١.

إذا أسلمت لله أي استسلمت لأوامره، فقبلت جميع ما أمرك الله به من الأوامر والنواهي.

فالإسلام هو الاستسلام والانقياد فعليك أن تقبل دين الله تعالى كله فلا تؤمن ببعضه وتكفر ببعض فتكون كالذين قال الله تعالى فيهم﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾[1] "أي طريقا ومنهجا وشريعة بين الكفر والإيمان، فيلتزمون ببعض شرائع الإيمان مع شرائع الكفر" أولئك هم الكافرون حقا ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[2] وكذلك قال تعالى لليهود ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا

(١) النساء: ١٥٠.

(٢) النساء: ٣٧.

خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَـا اللَّـهُ بِغَـافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] فالذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض كفار يجعل الله لهم الخزي في الحياة الدنيا فيعيشون عيشة الذل العار، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب.

فإذا علمت أخي المسلم فقد وجب عليك أن تلتزم بشرائع الاسلام كافة، كما قال الله تعالى ﴿يَاأَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِـي السِّـلْمِ كَافَّةً﴾[2] أي ادخلوا في شرائع الاسلام كافة " كما قال المفسرون".

---

(١) البقرة:٨٥.

(٢) البقرة:٢٠٨.

حقيقة التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة:

فالإســـلام كل لا يتجزأ وأساس الإسلام هو توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة والكفر ما دونه،وهذا هو معنى قولك"لا إله إلا الله"، أي: لا معبود بحق إلا الله فإذا قلت هذه الكلمة وأنـــت تريد تفهم معناها وتريد أن تلتزم به، فعليك ألا تقدم شـــيئا من العبادة إلا لله وحده، وإلا وقعت في الشرك والكفر العظيم، أعاذنا الله تعالى وإياك وعافانا من ذلك.

معنى العبادة الحقة، وبيان أنواعها:

اعـــلم أن العبادة تشمل كل ما أمر الله تعالى به وكل ما نهى الله تعالى عنه.

والعبادة هي الدعاء كما قال رسول الله ﷺ فيما صح عنه فلا يجوز لك أن تدعو أحدا غير الله تعالى، نبيا كان أو وليا أو

رجلا من الصالحين حيا كان أو ميتا أو غير ذلك لطلب نفع أو دفع ضر : لأنه لا يملك النفع والضر إلا الله.

واعلم أن الدعاء هو النداء لطلب نفع أو دفع ضر، يقال: دعـا فلان فلانا أي ناداه، فإذا قلت: "يا رب" فأنت تنادي ربك وتدعوه وإذا قلت: "يا بدوي"! فأنت تناديه وتدعوه من دون الله، وإذا قلـت: يا حسين مدد" ! فأنت تدعوا الحسين وتطلـب المدد من دون الله، ولا يجوز أن تقول إنني أدعو الله ولكـني أجعل هؤلاء الأولياء واسطة بيني وبين الله، لأن هذا هـو عين الشرك الذي كان يفعله المشركون وهذا هو كلام المشـركين نفسـه حيـنما دعاهم الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وكانت أصنامهم تماثيل للأنبياء كتمـثال إبراهـيم علـيه السلام، وتماثيل للملائكة، وتماثيل للأولـياء وللـرجال الصالحين كاللات والعزى، فيقال: إن

اللات كان رجلا صالحا كان يلت العجين، ويصنع منه الخبز ليطعم به حجاج بيت الله الحرام[1]، فلما مات جعلوا له وثنا وتوسطوا به إلى الله تعالى، وكذلك فعل قوم نوح كما بين القرآن حيث قالوا حينما دعاهم نوح إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة:

﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[2] فجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس أن هذه كانت تماثيل لرجال صالحين لما ماتوا صور الشيطان لهم هذه التماثيل فجعلوا يتبركون بها ثم عبدوها

(١) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى﴾ (٤٨٥٩).

(٢) نوح:٢٣.

لتقربهم إلى الله تعالى، وليتوسطوا بها إلى الله تعالى[1] وكذلك كان شرك العرب، ولذلك لما دعاهم رسول الله ﷺ إلى عبادة الله وحـــده وتـــرك آلهتهم قالوا كما حكى الله تعالى عنهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى[2] إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[3].

واعلم أن من يستدل على اتخاذ الأولياء واسطة بقوله إنك لا تســـتطيع الدخول على الرئيس، ولا على المدير بنفسك بل عـــن طريق سكرتيره أو مقربيه، فإنما ذلك كفر لأنه يشبه الله

---

(١) أخـــرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ (٤٩٢٠).

(٢) أي: واسطة.

(٣) الزمر:٣.

تعالى بخلقه، ومن شبه الله تعالى بخلقه كفر، فالله تعالى يقول : ﴿وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[1] فـبين الله تعـالى لعباده أنه قريب إليهم يسمع لهم ويجيبهم مباشرة دون واسطة، وليس عليهم إلا أن يدعوه، كذلك قال تعـالى:﴿وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2] فأمر الله عز وجل عباده أن يدعوه، وألا يستكبروا عن عبادته وإلا فمـن اسـتكبر عن دعائه وعبادته فإن جزاءه جهنم وبئس المصير.

---

(١) البقرة:١٨٦.

(٢) غافر:٦٠.

حقيقة الشرك:

فإذا علمت هذا فاعلم-رحمك الله-أن الشرك هو أن تجعل بينك وبين الله واسطة. وهذا هو شرك الدعاء.

وكذلك فإنه هناك أنواع أخرى من الشرك، منها : شرك الطاعـــة : فالعبادة هي الدعاء: وهي طاعة الله تعالى وحده، والخضـــوع والـــتذلل له وحده، والخوف والرجاء له وحده، والـــتوكل والإنابة له وحده، فكما أن من خاف من أحد من الأنبياء أو الأولياء أن يؤذيه أو يؤذي أولاده، أو رجا أن ينفعه بكشـــف الضر عنه بأن يتوسط له عند الله، فينجح أو فيشفى مـــن مـــرض أو غير ذلك فهذا شرك لأنه قد قدم الخضوع والتذلل والخوف والرجاء والخشية والتوكل إلى غير الله تعالى.

فكذلـــك من قدم الطاعة إلى غير الله تعالى فقد أشرك من أطاعـــه مـــع الله تعـــالى لأنـــه "لا طاعة لمخلوق في معصية

الخالق"[1] فمن أطاع منهجا أو شريعة أو قانونا غير شريعة الله تعالى، فقد أشرك بالله العظيم وكفر بشريعة محمدﷺ .

شرك الحاكمية:

فإذا علمت هذا -رحمك الله- علمت أنه يجب عليك أن تكفر بكل شرع مخالف لشرع الله، وأن تتبرأ من كل قانون يخالف كتاب الله، واعلم أن كل من دعا الناس إلى شرع أو قانون غير شرع الله تعالى يتحاكم الناس إليه فقد جعل نفسه طاغوتا أي إلها يعبد من دون الله، وقد سماه الله طاغوتا فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/٦٦) والحاكم في "المستدرك" (٢/٤٤٣) وصححه وأقره الذهبي وقال محقق "شرح السنة": إسناده ضعيف.

أُمِـرُوا أَنْ يَكْفُـرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا﴾[1].

سمي طاغوتا لأنه طغى وجاوز حده، فحده أن يكون عبدا مطـيعا لمنهج الله تعالى، ولكنه طغى فجعل نفسه إلها يشرع للـناس شـرعا يخالف شريعة الرحمن، فمن اتبعه فقد اتخذه شـريكا مع الله، قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[2] فعليك أخي المسلم أن تكفر بهذا الطاغوت الذي يدعو الناس إلى قانون أو شرع مخالف لشرع الله لأنه لا يتم إيمانك إلا بذلك لأن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ

---

(١) النساء: ٦٠.

(٢) الشورى: ٢١.

الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] والعروة الوثقى هي التوحيد وهي شهادة أن لا إله إلا الله.

فانظر -رحمك الله- كيف أن الله تعالى بين أن إيمانك لا يتم حتى تكفر بالطاغوت أولا قبل أن تؤمن بالله، وذلك هو العروة الوثقى.

معنى لا إله إلا الله:

وهو معنى قولك: "لا إله إلا الله"، لأن هذه الكلمة مكونة من جزئين الأول: "لا إله" وهذا كفر فأنت تكفر بجميع الآلهة التي تعبد من دون الله وبجميع الشرائع التي يتحاكم إليها الناس، الجزء الثاني: "إلا الله" وهذا إيمان بالله وحده، فأنت تنفي جميع الآلهة ثم تثبت وتؤمن بإله واحد، وهو الله خالق

(١) البقرة:٢٥٦.

السموات والأرض، ألا له الخلق والأمر، فالذي خلق هو الذي يجب أن يكون له الأمر، ويجب أن يطاع.

قال تعالى﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ؟﴾[1] ذلك لأن الذي خلق هو الذي يعلم ما يصلح الخلق وما يفسده لذا فقد وضع نظاما لإصلاح خلقه كما أن صانع أي صنعة يصنع نظاما لإصلاح صنعته، ولا يقدر أحد على وضع هذا النظام مثل الصانع الأول الذي صنعها، خاصة إذا كان خبيرا وبكل شيء عليما، قال تعالى﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2] فهو اللطيف الذي يعلم الأشياء الخفية الدقيقة اللطيفة التي تخفى على غيره وهو الخبير بخلقه لأنه هو الذي خلقه فهو وحده القادر على إصلاحه﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

---

(١) النحل:١٧.

(٢) الملك:١٤.

﴿اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فإذا أتيت بهذا التوحيد فقد نجوت من الخلود في النار، وكان لك عند الله عهد أن يدخلك الجنة.

كيف النجاة؟

لكي تنجو من عذاب القبر ومن عذاب جهنم فاعلم أنه لا سبيل إلى ذلك إلا بتوبة نصوح تعرف بها غايتك التي خلقت لأجلها، وتتعرف فيها على خالقك، وتقبل فيها على عبادته بأن تعمل الصالحات فتقيم الصلاة، فإن تركها من أكبر الكبائر وقد سماه الرسول ﷺ كفرا أو شركًا فقال: "بين العبد وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[1] وتلتزم بطاعة الله تعالى وبمنهجه، فتترك المعاصي الفواحش ما ظهر منها وما بطن،

(١) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على تارك الصلاة (٢٦٦/١) ط الشعب.

وتقبل على كتاب ربك فتقرأه وتتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وتتعلم ما فيه وتعمل به، وتقرأ سنة النبي ﷺ الصحيحة وتتعلمها وتعمل بما فيها، وتقرأ في كتب التوحيد، والعقيدة فتتعلم عقيدتك، وهذا من أهم ما يجب عليك تعلمه، لأنه بالتوحيد تنجو من الخلود في النار، وتضمن جنة الجبار، ولأنك إن لم تتعلم التوحيد لا تأمن من الوقوع في الشرك والشرك ظلم عظيم كما قال تعالى ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[1]، وقال أيضا ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[2] فالله تعالى قد يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء حتى ولو لم يتب منها صاحبها: إلا أنه لا يغفر الشرك إلا بالتوبة والرجوع إلى وحدانيته وإفراده تعالى بتقديم

---

(١) لقمان:١٣.

(٢) النساء:٤٨.

العبادة له وحده، فتدعوه وحده، وتخافه وحده، وتتوكل عليه وحده، وتطيع منهجه دون منهج أحد غيره.

جملة واجبات يكمل بها الإيمان:

ثم عليكم معشر المؤمنين والمؤمنات: أن تغضوا أبصاركم عـن مـا حـرم الله علـيكم، وتحفظوا فروجكم عن الزنا والفواحـش، وأن تسـتروا عوراتكم، ولا يجوز للرجال أن يلبسـوا الملابس الضيقة التي تفصل عوراتهم، ولا يجوز للنساء كذلـك من باب أولى أن يلبسوا غير الزي الذي شرعه الله تعـالى لهـم وهو أن يستر سائر الجسد فيكون الثوب واسعا فضفاضا لا يفصل الجسد ولا يشف، وذلك لأن جسد المرأة كله عورة، ولأن المرأة كلها إغراء وفتنة، وهذا يوقع الرجال في الفاحشة، واتباع المعاصي فتتسبب هذه المرأة في الإفساد في الأرض، فـيكون جـرمها أعظم جرم لأنها تؤجج الشهوات

الخاملة في صدور الرجال فتشتعل بهم الشهوة، ويحدث الفساد.

وعليكم يا معشر الشباب: ألا تغتروا بشبابكم فإن الموت يأتي بغتة ولا يفرق بين الشيوخ والأطفال، فكم من رضيع مات في رضاعته، وكم من صبي مات في صباه، وكم من شاب فاجأة الموت وهو معرض عن طاعة ربه، مقبل على طاعة شيطانه وهواه.

فعليكم معشر الشباب: أن تذكروا أهوال القيامة وأهوال القبور، فعليكم أن تتوبوا قبل أن يطبع الله على القلوب والصدور جزاء بما كسبت أيدي الظالمين.

وتقرءوا ما جاء في تلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ وفي كتاب ربكم من مواعظ بينات وآيات كثيرات، وكفى عبرة لمن يعتبر قوله تعالى﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا**

يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١] فكل حسنة تنفع في هـــذا اليوم وكل سيئة تضر، وكفى عبرة لمن يعتبر أن يقرأ ســـورة العصـــر ﴿وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) إِلا الَّذِيـــنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)﴾[٢].

واعلـم أيها المؤمن وأيتها المؤمنة: أن الله تعالى قد أقسم في هـــذه السورة بالعصر على أن بني الإنسان جميعا في خسر إلا المؤمـــنين وبين ربنا سبحانه، أن إيمان المؤمنين لا ينفعهم ولا ينجـــيهم من الخسران في الدنيا والآخرة إلا بالعمل الصالح، وأنـــه لا يـــنجو من الخسران كذلك إذا كان عمله الصالح

---

(١) الزلزلة:٧-٨.

(٢) العصر:١-٣.

مقصـــورًا على نفسه، بل لابد من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، أي لابد للمؤمن بعد أن يعلم الحق ويلتزم به أن يدعو إليه وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يصبر في سبيل ذلك على ما يلقى من الأذى والمشقة والعنت فعليه أن يصبر ويصـــبّر إخوانه على التمسك بطاعة الله تعالى، والدعوة إلى الديـــن، قـــال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) فهـــذا الديـــن ليس دعوة النبي ﷺ وحده بل هو دعوته، ودعوة أتباعه من بعده، فمن التزم به ودعا إليه فهو من أتباع النبي ﷺ ومن فرط فيه وضيعه فرسول الله ﷺ منه بريء.

(١) يوسف:١٠٨

شفاعة النبي ﷺ لمن آمن به واتبع سنته:

فلا يتكلن أحد على شفاعة النبي ﷺ وهو غير متبع لسنته ولا محـب لشـرعه، ولا عامل به ولا داع إليه، فقد جاء في الحديـث الصـحيح في الصحيحين"بينما رسول الله ﷺ على الحـوض يسقي أمته من حر ذلك اليوم، فمن شرب من يده الشـريفة شـربة لم يظمأ بعدها أبدا، فإذا بأناس يذادون أي يـبعدون عن حوض النبي ﷺ فيقول الرسول ﷺ أي رب إنهم مـن أمـتي فيقال له: إنهم ليسوا من أمتك إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول رسول الله ﷺ سحقا سحقا"[1] أي إلى النار فشفاعة الرسولﷺ لمحبيه وأتباع سنته والداعين إليها، لا

(١) أخرجه البخاري في "الرقاق"، باب: في الحوض: (٦٥٨٣،٦٥٨٤).

مـــن ابـــتدعوا في دين الله تعالى وخرجوا على سنة نبيهم ﷺ وغيروا شرعه.

ثم اعـــلم أن هؤلاء الذين قد اتكلوا على الشفاعة وتركوا العمـــل في طاعة الله تعالى قد أضلهم الشيطان ضلالا بعيدا، وإلا فأخـــبرني بـــالله علـــيك متى تكون شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة؟

أليســـت تكـــون بعد أن يمضي يوم مقداره خمسون ألف ســـنة، فيا ويل من يعذب خمسين ألف سنة حتى ينال شفاعة الـــنبي ﷺ فلـــو لم يكن له من العذاب إلا سنة واحدة، أو إلا يوما لكفاه، فما بالك بعذاب خمسين ألف سنة؟!

وهل تكون شفاعة النبي ﷺ للغصاة إلا بعد أن يمروا على الصـــراط فـــيقعون في جهنم، ثم بعد أن ينتهي يوم القيامة، ويدخـــل أصحاب الجنة الجنة، فيفتقدون أصحابهم، فيسألون

الله تعـالى أن يخـرجهم مـن الـنار، ويشفع لهم النبي ﷺ فيخرجونهم من النار، تعرفهم الملائكة بآثار السجود، وأن من كـان تاركًا للصلاة أكلته النار كله، فلا تعرفه الملائكة ولا يخرجونه، بل يكون من أهل سقر، تلك التي لا تبقي ولا تذر، فـلا يـتعلق تارك الصلاة المعرض عنها بشفاعة النبي ﷺ ولا يؤملن أحد في شفاعة النبي ﷺ إلا وهو محب له، متبع لسنته.

وأخـيرا فاعلم أن محبة النبي ﷺ إنما تكون بطاعته واتباعه كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّـهَ وَالرَّسُـولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾[1] فمـن ادعى محبة النبي ﷺ وهو تارك لسنته معرض عنها فهو

(١) آل عمران: ٣١-٣٢.

كـــاذب، بـــل لـــو كان صادقا في محبته لاتبع شرعه ﷺ من الكافرين؟!

فإياك أخي والإعراض عن شرع الله تعالى لأن ذلك كفر عظيم، وردة عن الدين، واذكر قول الله تعالى في بيان المرتدين حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَـــالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّـــهُ يَعْلَـــمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْـــرِبُونَ وُجُوهَهُـــمْ وَأَدْبَارَهُمْ(٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

(١) محمد: ٢٥-٢٨.

فعليك بشرع الله تعالى دون شرع من سواه، ولا تكرهن شـيئا من شرع الله، لأن من كره شيئا من شرع الله تعالى كفـر وأحـبط الله عمله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

نصحية إلى الأخ المسلم والأخت المسلمة:

فـاحذر يـا أخي واحذري أيتها المؤمنة أن تطيعي الذين كفـروا فتكرهين حجابك ثوب العفاف والفضيلة، فتخلعينه فتكونين سلعة مهانة مكشوفة، واحذر أيها المؤمن أن يجتالك أعـداؤك عـن دينك بالشهوات والملذات، ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[2].

---

(١) محمد: ٩.

(٢) المائدة: ٤٩.

الدعوة إلى الله من تمام الالتزام بدينه.

وإذا التزمت بدين الله تعالى، فعليك أن تدعو إليه فتعلّم ما في هذه الرسالة وانشرها وأعطها لأكبر عدد من إخوانك، وادع لما فيها، واصبر على الدعوة إلى الله تعالى، ولا يفتننك محاربة أعدائك لك فإنه كما قال الله تعالى﴿**لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾(١) ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾(٢) فأعلمنا الله تعالى أن من دعا إليه سوف يبتلى ويؤذي من الناس فعليه أن يصبر على ما يصيبه حتى ينصره الله، واعلم أن

---

(١) الحشر: ٢٠.

(٢) لقمان: ١٧.

نصر الله تعالى لك بأن يثبتك على التوحيد وعلى الإسلام حتى تموت وتلقاه مسلما.

قـال تعـالى ﴿يَأَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

اعرف عدوك

وبين لنا ربنا تبارك وتعالى أن أعداءنا سيقاتلوننا لا لشيء إلا من أجل ديننا، فلا تنخدع بقولهم أن قتالهم لأجل أموالنا أو ثرواتـنا أو غير ذلك كلا فإن الله تعالى قد بين غاية قتال أعداء الإسلام للمسلمين فقال: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

(١) البقرة:١٣٢.

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

فبين تعالى أن غاية قتالهم لنا أن يفتنونا عن ديننا وأن يردونا عن إسلامنا فاعلم ذلك، واحذر أن تطيع أعداءك من اليهود والنصارى والشيوعيين والعلمانيين وغيرهم أو تتبع مناهجهم فإن طاعتهم كفر كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) يَاأَيُّهَاالَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

---

(١) البقرة:٢١٧.

(٢) البقرة:١٣٢.

الصبر على الدعوة وجزاء الشهداء:

وإذا ما دعوت إلى دين الله تعالى فلا تتعجل الثمرة، ولا تتعجل النصر، فإنك ستنتصر حتما لا محالة، والمسلم ينتصر على أعدائه لا محالة، فهو ينتصر إما بهزيمة أعدائه، وإما بالشهادة في سبيل الله فمن مات موحدا داعيا إلى الله تعالى مات شهيدا، ولو مات على فراشه "من سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه"[1].

وإذا كان غاية أعداء الله أن يردوا المسلم عن دينه، فيكون نجاة المسلم بدينه حتى يلقى الله مسلما هو النصر بعينه، نسأل

---

(١) أخـــرجه مسلم في "الإمارة"، باب: استحباب طلب الشهادة في سبيل الله (١٩٠٩).

الله تعالى أن نموت على الإسلام، ونلقاه مسلمين وحينئذ يلقى المسلم عند ربه الفوز العظيم، فيلقى البشارة من ملائكة الرحمن عند موته﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ(٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ(٣٣)؟﴾[1].

نعم يا أخي، إنها لبشارة بجنة عرضها السموات والأرض أعـــدت للمتقين، فيها كما أخبر رسول الله ﷺ : "ما لا عين

(١) فصلت:٣٣.

رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"[1] وكما قال ربنا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[2].

إن شهوات الأنفس وحظوظها مطلقة في الجنة غير مقيدة، إن النعيم الأبدي للروح وللجسد جميعا، فإن رسول الله ﷺ يخبر أن الرجل في الجنة يؤتي شهوة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة"[3].

---

(١) أخرجه البخاري في "التفسير"، باب: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٤٧٧٩).

(٢) فصلت: ٣١.

(٣) "صحيح" صححه الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (١٦٢٧) وعزاه السيوطي للطبراني عن زيد بن أرقم.

وذلـــك جـــزاء وفاقـــا فالمؤمنون قد حرموا أنفسهم من شـــهوات الدنـــيا، وزيفها المادي فحق لهم أن يتنعموا بنعيم الآخرة، وأن تتنعم أرواحهم وأجسادهم في الآخرة بأن تذوق لذة النعيم كما ذاقت في الدنيا مرارة الحرمان.

أخـــي إن مـــن مات على توحيد الله تعالى عاملا بشرعه داعيا إليه مات شهيدا، وللشهيد عند الله ست خصال: يغفر لـــه في أول دفعـــة من دمه. ويرى مقعده من الجنة ويجار من عـــذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويحلى حلة الإيمان، ويـــزوج مـــن الحـــور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه"[1].

(١) أخـــرجه الـــترمذي (١٧٢٨) وابن ماجه (٢٧٩٩) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٣٥٨).

﴿إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَـامِلُونَ﴾[١]، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[٢] أخي إذا مـا غرتك الدنيا بزخارفها وحطامها فتذكر نعيم الآخرة، وتذكر أن أدنى أهل الجنة عند الله منـزلة يوم القيامة رجل له مثل الدنيا وعشر أمثالها في الجنة"[٣].

فتخـيل عبد الله لو أنك تمتلك هذه الدنيا جميعها بسائر زخارفها وثرواتها وحدائقها وجناتها، ورجالها ونسائها، تأمر فـيها بما تشاء، فما بالك لو أن لك كعشرة أمثال الدنيا في الجنة، وشتان بين الجنة العالية والدنيا الدانية.

---

(١) الصافات: ٦١.

(٢) المطففين: ٢٦.

(٣) أخرجه مسلم في "الإيمان"، باب: أدنى أهل الجنة منزلة (١/٤٤٧) ط الشعب.

أخـــي إذا ضـــاقت بك الدنيا فلا يكن همك الغنى وجمع حطامهـــا، بل تذكر موعود الله في الآخرة، وأن الواحد من أهـــل الجـــنة يريد طير الجنة فيشتهيه فيخر بين يديه مشويا، وإنك لتنظر إلى فاكهة الجنة فتشتهيها فيتدلى لك أغصانها حتى تـــأكل ما تشاء، ثم تعود كأنك لم تأكل منها شيئا . وأخيرا تذكر هذا الحديث: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همـــه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له"[1].

أخـــي إذا ما غرتك نساء الدنيا بزينتها وعبيرها فتذكر ما لك في الآخرة من الحور العين، وتذكر أن هذه الحور ناعمات

---

(١) أخـــرجه الـــترمذي (٢٥٩٦) وصـــححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٠٠٥).

مدلـــلات بيض واسعات العيون، على الواحدة منهم سبعون حلة من حرير ترى مخ ساقها من فوق حللها، ولو أن نصيف إحداهن وقع على الأرض لأضاءها إلى ما شاء الله كما أخبر بذلـــك النبي ﷺ: "لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحًا. ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"[1].

أخـــي!

تذكر أن أعظم لذة في الآخرة هي لذة النظر إلى وجه الله الكـــريم، فهل تهيأت نفسك، وتطهر قلبك لكي تكون محلا للنظر إلى وجهه الكريم، ولكي تفوز بلقاء الملك العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري في "الجهاد والسير"، باب: الحور العين وصفتهن(٢٧٩٦).

إن من دخل الجنة فقد فاز بالحسنى، ومن نظر إلى وجهه الكريم فقد نال الزيادة، قال تعالى:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[1].

وبعد: أخي الحبيب:

ها قد عرفت الطريق!

وها قد رأيت بر النجاة!

ففيم خوضك لجج الباطل؟

وفيم غرقك في الشهوات والدنيات؟

فهلم إلى بر النجاة وهلم إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

(تمت بحمد الله)

---

(١) يونس:٢٦.